

محطات تاريخية في حياة المناضل الكبير الشهيد رمضان محمد نور



كتب : د. أحمد حسن دحلي

لكي نبدأ من البداية، بدأ الوعي الوطني للمناضل رمضان محمد يتبلور في خضم نشاط الاحزاب السياسية الارترية بكل توجهاتها وتناقضاتها في عهد الانتداب البريطاني بعد هزيمة ايطاليا في الحرب الكونية الثانية. ثم بات يأخذ بعدا عميقا في معمعة الاضرابات العمالية والطلابية في نهاية الخمسينيات وفي مطلع الستينيات والتي عمت المدن الارترية الكبرى كأسمرا ومصوع، وذلك قبل انتشار شرارة الحرية التي اطلقتها حركة تحرير ارتريا في عام 1958 في هشيم المجتمع الارترى برمته، ابتداء من عام 1959.

موقع " المركز الارترى للدراسات الاستراتيجية " سيفرد ملفا شاملا عن هذا القائد القدوة في غضون الايام المقبلة، ولذا سأتوقف الآن على ابرز المحطات التاريخية والسياسية في حياة هذا الثائر الذي قضى زهاء ستة عقود من عمره في نضال تاريخي وسياسي وفكري واجتماعي وعسكري من أجل تحرير شعبه، واستقلال وطنه، وإعادة بناء ارتريا على قاعدة العدالة الاجتماعية والحياة الديمقراطية. وكان الشهيد يدرك جيدا بأن معارك بناء الاوطان وارساء العدالة الاجتماعية وترسيخ الروح الديمقراطية اصعب واعقد بكثير من معارك حرب التحرير، وعليه فلا غرابة اذا ما ساهم قدر جهده سواء وهو في موقع القيادة أو القاعدة في عملية تعمير الوطن على كل الصعد.

1 - ولد المناضل رمضان محمد في عام 1938 بقرية حرقيقو المطللة على البحر الاحمر حيث نال تعليمه الاولي قبل التوجه الى القاهرة لمواصلة تحصيله العلمي، وينخرط هناك في جميع النشاطات السياسية الطلابية الارترية في اجواء الناصرية التي كانت في اوج تألقها الثوري والتضامني مع حركات التحرر الوطني في عموم القارة السمراء والعالم الثالث.

2 - شعوره الوطني الذي ولد ونما في ارتريا وترعرع في مناخ المد الثوري في العالم الثالث، أهله في عام 1963 ان يكون ضمن الدفعة الاولى من الشباب والطلاب الارتريين الذين نالوا التدريب العسكري في سوريا.

3 - التحق القائد المناضل رمضان محمد نور في عام 1964 برفاق الشهيد حامد ادريس عواتي مفجر الكفاح المسلح الذي كان حينذاك متمحورا في الجزء الغربي من التراب الوطني الارتري.

4 - كان الشهيد ضمن دفعة الدورة العسكرية والسياسية لجهة تحرير ارتريا التي ذهبت الي الصين الشعبية وهي تخوض بقيادة الزعيم الثوري ماو تسي تونغ ثورتها الثقافية. ونال المناضل رمضان محمد نور تدريبا عسكريا عمليا ونظريا فيما يخص تكتيك واستراتيجية حرب التحرير، لا سيما وان الصين كانت قد اكتسبت خبرة كبيرة عبر مسيرة الجيش الاحمر الطويلة والتي دامت 13 سنة، وتحديدًا من عام 1935 لغاية عام 1948، أي المسافة العسكرية والعسكرية التي قطعتها الثورة الصينية قبل ان تحط رحالها في مدينة يونان للخروج من الحصار الكبير الذي فرضته عليها قوات شاينج كاي شيك، وبغية اعادة ترتيب صفوفها، قبل شروعها في الزحف الكبير نحو بكين. وحصل رمضان برفقة رفيق دربه المناضل اسيااس افورقي ورهط من المناضلين الارتريين على دراسات سياسية تناولت ضمن قضايا اخرى كيفية تأسيس حزب سياسي، وطريقة تحديد وحل التناقضات الثانوية والاولية. وهذا الامر اولته القيادة الصينية عناية فائقة، ولقد ترك حقا اثرا ملحوظا على كل من المناضلين رمضان محمد نور واسيااس افورقي. وبمناسبة ذكر المسيرة الطويلة التي قطعها الجيش الاحمر على امتداد 12500 كلم للخروج من حصار قوات شاينج كاي شيك وشق الطريق صوب بكين، نعيد الى الاذهان ذكرى اخلاء مدينة كرن

والقيام بالانسحاب الاستراتيجي في عام 1979 للحفاظ على الثورة وقواتها ومعداتها الحربية، وإعادة ترتيب شؤونها، والتعسكر في قاعدتها الخلفية، أي مدينة نقفه في أقصى شمال ارتريا، أي ابعد نقطة خط امداد العدو من ناحية، وطريق وعر المسلك من ناحية ثانية، هذا علاوة على ان مدينة نقفه محفوفة بحصون جبلية شاهقة، ابطلت فعالية سلاح الطيران الاثيوبي واسلحته الثقيلة من دبابات ومدركات وراجمات الصواريخ - اورغن ستالين - ومدافع بعيدة المدى، هذا مما انعكس سلبا على معنويات الجيش الاثيوبي، وأهل الجيش الشعبي الارتري على توجيه ضربات مؤلمة الي قوات العدو الاثيوبي عبر حرب استنزاف استغرقت عقدا كاملا، أي من عام 1978 الى عام 1988، قبل قيام قوات الجبهة الشعبية بهجوم معاكس كاسح، توج في خاتمة المطاف بتحرير مدينة افعبت الاستراتيجية في عام 1988، ثم مدينة مصوع في 1990، قبل تحرير مدينة اسمرا وعصب في 1991.



5 - بعد عودته من دورته في الصين التي دامت 19 شهرا، أي من اكتوبر 1966 لغاية ابريل 1968، عين المناضل رمضان محمد نور مفوضا سياسيا في المنطقة الرابعة التي كان يقودها المناضل محمد علي عمرو، وشرع في عملية التثقيف السياسي.

6 - ازاء استفحال ازمت جبهة التحرير الداخلية وارتفاع الاصوات المنادية بإجراء اصلاحات بنوية في هيكلها التنظيمي وبرنامجها السياسي، لعب

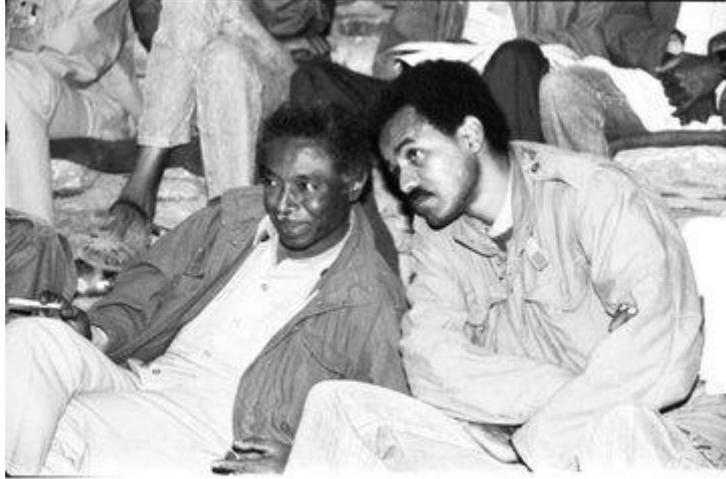
رمضان محمد نور دورا مع بقية المناضلين في توحيد المنطقة الثالثة والرابعة الخامسة في اطار ما بات يعرف بـ " الوحدة الثلاثية " في ادبيات ووثائق الثورة الارترية.

7 - ومن مفارقات الامور التاريخية والسياسية ، لقد تم اختيار المناضل رمضان محمد نور غيابيا سكرتيرا لـ " القيادة العامة " في مؤتمر ادوبحا المنعقد في عام 1969 بمنطقة ادوبحا. ويذكر ان الشهيد رمضان محمد نور كان وقتذاك يوجد في اقليم دنكاليا قبل ان يتوجه فيما بعد الى عدن لتلقي العلاج. والمفارقة تكمن في ان تفكير ورؤية المناضل رمضان محمد نور لوحدة المناطق خاصة ولمؤسسات جبهة تحرير ارتريا عامة كانا في واد، ومخطط وغاية مهندسي مؤتمر ادوبحا كانا في واد آخر، وعليه لا عجب اذا ما رفض المناضل رمضان ان يصبح سكرتيرا لـ " القيادة العامة " ويقدم استقالته.

8 - بعد انعقاد مؤتمر ادوبحا وانقلاب القيادة العامة على بعضها، واعتقال ستة من أعضائها، وتخلى بعض قادتها عنها، مثل المناضل اسياى افورقي ، وشروعها في بعض عملية الاغتيالات، ورفضاً لسياستها ولأسلوب معالجاتها لتناقضات الثورة الارترية الداخلية، حاول الشهيد رمضان محمد نور العمل لإصلاح ما ارتكبته القيادة العامة من اخطاء قاتلة في مؤتمر ادوبحا، ولكنه سرعان ما اكتشف بأن الامر اصعب واعقد من اصلاحه من الداخل، ولا بد من الشروع في تغييره عبر تأسيس تنظيم جديد. وهذا ما حصل بالفعل في عام 1970 بميلاد تنظيم قوات التحرير الشعبية في منطقة سدوحا عيلا في اقليم دنكاليا.

9 - بعد تأمل تجربة الثورة الارترية، والاستفادة من التجربة الصينية من الناحية النظرية والعملية، توصل المناضل رمضان محمد نور ورهط من رفاقه وفي مقدمتهم المناضل اسياى افورقي، الى قناعة مفادها ضرورة تأسيس حزب يتولى قيادة المسيرة النضالية للشعب الارترى، يكون بمثابة بؤرة اختمار وتبلور الافكار، وبوصلة توجه المسيرة الثورية نحو اهدافها المنشودة وسط ظروف داخلية معقدة، ومحيط اقليمي متذبذب ان لم يكن مناوئا، ومناخ سياسي دولي محكوم بمنطق الحرب الباردة الذي لم يصب لمصلحة الثورة الارترية

وذلك على خلاف سائر حركات التحرر في العالم الثالث، ويعزى ذلك لحسابات الاتحاد السوفيتي السابق المصلحية وغير المبدئية. وان الصين الشعبية التي دعمت الثورة الارترية في بداية المسيرة النضالية التحررية، سرعان ما تراجعت هي الاخرى لحسابات مصلحية أيضا لا علاقة لها بموقفها الايديولوجي ولا بطبيعة النظام الاثيوبي الاقطاعي، الحليف التاريخي للامبريالية الامريكية حسب التصنيف الصيني حينذاك . ففي وسط هذه الاجواء السياسية الارترية والإقليمية والدولية اسس " حزب الشعب " السري عام 1971 في داخل قوات التحرير الشعبية، وكان المناضل رمضان محمد نور احد ابرز قادته.



10 - لعب الشهيد رمضان محمد نور دورا مهما في توحيد اجنحة قوات التحرير الشعبية الثلاثة وسط دخان الحرب الاهلية بين قوات المجلس الثوري وقوات التحرير الشعبية، قبل ان تتوج تلك العملية بميلاد الجبهة الشعبية لتحرير ارتريا في عام 1977، وينتخب المناضل رمضان محمد نور سكرتيرا عاما لها لعقد كامل، وذلك قبل ان يحل محله المناضل اسيااس افورقي، بعد انتخابه سكرتيرا عاما للجبهة الشعبية في المؤتمر الثاني في عام 1987.

11 - في 24 مايو 1991 اجتثت الثورة الارترية المستعمر الاثيوبي من التراب الوطني الارتري، واصلت تحرير ارتريا. واذ ذاك قال لي المناضل رمضان محمد نور في احد حواراتي معه، يوم تحرير كل الاراضي الارترية حاولت استرجاع

شريط الذاكرة الى الوراء، ومثلت امامي كل تلك المراحل التاريخية الحالية والتطورات السياسية المعقدة والصراعات الداخلية والحروب الاهلية، وممارسة اثيوبيا لسياسة الارض المحروقة، والحملات العسكرية الاثيوبية العشر المدعومة من الاتحاد السوفيتي السابق والدول الدائرة في فلكه، التي مرت عبرها المسيرة النضالية الارترية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى الرابع والعشرين من مايو 1991، فلم استطع كبح جماح حبات الدموع من التساقط من عيني لتروي غليلي وكل ما كان يعتمل في نفسي ويتراكم في وجداني على مدار الايام والسنوات والعقود.

12 - بعد التحرير وحتى مطلع الاستقلال، أي من عام 1991 ولغاية 1994 ، اصبح الشهيد رمضان محمد نور في عهد الحكومة الارترية الانتقالية حاكما لأقليم شمال البحر الاحمر ثم وزيرا للعدل.



13 - فاجأ المناضل رمضان محمد نور المشاركين في المؤتمر الثالث للجبهة الشعبية لتحرير ارتريا المنعقد في عام 1994 بمدينة نقفه، بطلب اعفائه من أي مسؤولية سواء على مستوى الجبهة أو على صعيد الحكومة. ولكنه وفي نفس الوقت أكد بأن هذا الموقف لا يعني التخلي عن مواصلة المسيرة النضالية، بل مواصلتها، هذه المرة ليس من موقع المسؤولية الرسمية أو من خلال مركز قيادي .

14 - لقد اعتزل الشهيد رمضان محمد نور الحياة السياسية الرسمية، ولكنه لم يعتزل الحياة السياسة العامة، فقلبه قبل عقله مثل باب منزله كان مفتوحا

للجميع يأتون من دون سابق موعد، وي طرحون عليه همومهم وبعض مشاكلهم وصعوبات الحياة، ولم يكن يتردد ابدا أن يمد يد العون هنا وهناك، والتدخل المباشر حيال هذه الوزارة أو تلك الإدارة أو هاتيك المؤسسة لحلحلة امور الناس قدر المستطاع.

15 - رمضان محمد نور القائد الرمز والزعيم القدوة، لم يبحث عن في يوم من الايام عن مسؤولية، ولا عن جاه او مال، ولم يبحث عن الأضواء، ولكنه وبكل بساطة وتواضع وتفان نادر النظير، ناضل في سبيل انتصار ثورته وحرية شعبه على مدى 58 سنة، أي منذ التحاقه بجهة تحرير ارتريا 1963 لغاية يوم استشهاده في 2021.

16 - كان المناضل الشهيد رمضان محمد نور يتابع عن كثب عملية اعادة اعمار الوطن، وتطورات الاحداث الاقليمية والدولية، هذا بجانب اهتمامه بقراءة الكتب التاريخية والسياسة. وكنا نتحاور ونتجادل حول هذا الموضوع وذلك الحدث كلما حانت لي فرصة لقائه. ثم كنت اغتتم الفرصة لكي احثه على اهمية كتابة مذكراته، وكان يوافقني في ذلك، ولكني لست ادري ما إذا كان قد شرع عمليا في ذلك. والآن وقد رحل، لم يبق إلا الامل بأن يكون قد فرغ من سطرها، لأنها ستكون احد المراجع التي ستسلط الاضواء على بعض المراحل والأحداث التاريخية والسياسية الارترية المعاصرة التي لا يظل يكتنفها بعض الغموض.